

وهم تدويل القدس

بواسطة [مارتن كريمر \(ar/experts/martn-krymr-0/\)](#)

ديسمبر
متوفر أيضاً باللغات:

(English (/policy-analysis/fantasy-international-jerusalem))

عن المؤلفين



[مارتن كريمر \(ar/experts/martn-krymr-0/\)](#)

مارتن كريمر زميل ويكسلر-فرومر في معهد واشنطن



مقالات وشهادة

في خضم فورة الغضب التي نشبت حول إعلان الرئيس الأمريكي دونالد ترامب عن اعتراف الولايات المتحدة بالقدس عاصمةً لإسرائيل ترددت عبارة دائمة ألا وهي الإصرار على أنه من حيث التوافق الدولي القائم منذ فترة طويلة لم يُقرّر بعد وضع المدينة. فالقرار الأخير للجمعية العامة للأمم المتحدة الذي يشجب الخطوة الأمريكية حَقَلَّ عبارات شديدة اللهجة تقول إن "القدس هي قضية وضع نهائي يجب حلها من خلال المفاوضات تمشياً مع قرارات الأمم المتحدة ذات الصلة".

ومن بين هذه القرارات السابقة الأكثر "صلة" ذلك القرار الصادر في تشرين الثاني/نوفمبر 1947 الذي اقترح تقسيم فلسطين ووضَع تصوراً - إلى جانب إقامة دولتين مستقلتين واحدة عربية وأخرى يهودية - يمنح القدس وضعاً منفصلاً تماماً كمدينة لا تنتمي إلى أي دولة إنما تخضع "لنظام دولي خاص".

ربما كان المرء قد فُكّر أن الرفض العربي الشامل لخطة التقسيم بأكملها بكافة أجزائها كان قد قضى بدوره على فكرة تدويل القدس. غير أنه يبدو بوضوح أن هذا الوهم مناسب لدرجة أكبر من أن يبقى خامداً إلى الأبد.

لهذا السبب من المفيد أن نعلم أنه قبل ثلاثة عقود على وجه الدقة تقريباً من خطة الأمم المتحدة الصادرة عام 1947 جرى طمس فكرة تدويل القدس بشكل حاسم. فمن كان وراء ذلك وهنا تطول الحكاية لكن إليكم إشارة: لم يكن العرب ولا اليهود.

قبل أسبوعين ونصف احتفلت القدس بالذكرى المائة لاستسلام المدينة للجنرال البريطاني إدموند اللبني. ففي 11 كانون الأول/ديسمبر 1917 توجّ اللبني نجاحه العسكري في انتزاع القدس من الأتراك العثمانيين وحليفهم الألماني في احتفال لا يزال يتردد صده حتى يومنا هذا.

وفي بادرة تواضع ظاهري دخل اللبني بوابة يافا في القدس سيراً على الأقدام دون أي أعلامٍ أو موسيقى رنانة. وإذ اعتلى المنصة عند مدخل القلعة ("برج داود") قرأ إعلاناً صريحاً مفاده أنه سيتمّ وضع المدينة تحت الأحكام العرفية وسيبقى الوضع القائم فيما يتعلق بالأماكن المقدسة على ما هو عليه. وبعد أن صافح مجموعة مختارة من أعيان القدس غادر بعد أن أمضى ربع ساعة فقط في المدينة.

ونشرت مجلة "أخبار لندن المصورة" صورة اشتهرت في ما بعد للجنرال اللبني وهو يدخل إلى القدس سيراً على الأقدام وصوّرت المشهد على أنه "دخول الفاتح البسيط والموقر إلى القدس". وفي الواقع جرى تنسيق تلك الصورة التذكارية بعناية لإطلاق حملة دعائية ضد العدو الألماني. فعندما زار القيصر فيلهلم الثاني القدس عام 1898 دخل على جواد أبيض وسط لافتات مرفرفة. وهكذا قبل ثلاثة أسابيع من وصول اللبني إلى المدينة تلقى التعليمات التالية من المسؤول عنه رئيس الأركان العامة الإمبراطورية الجنرال ويليام روبرتسون قائلاً: "في حال احتلال القدس سيكون من المهم من الناحية السياسية عند دخولك المدينة رسمياً أن تترجّل عن

حصانك عند بوابة المدينة وتدخلها سيراً على الأقدام فقد دخلها الإمبراطور الألماني راكبا على صهوة حصانه وانتشر كلام يقول إنه 'لو كان رجلاً أفضل لدخلها مشياً [على الأقدام]'. لذلك سيكون التناقض في السلوك ميزة جلية".

لقد كان الأمر جلياً بالفعل وتمّ توثيقه جيداً من خلال الصور والأفلام الدعائية البريطانية. ولهذا السبب حتى في وقتنا الحاضر لا يزال موكب المنتصرين وإعلان النبي راسخين في الأذهان عن ذلك اليوم من كانون الأول/ديسمبر 1917. وقبل أسبوعين جرى إعادة إحياء الموكب والإعلان كليهما في مدينة القدس القديمة أمام مئات الحاضرين المتحمسين.

لكن في اليوم نفسه من عام 1917 وبغ حدث آخر بعيداً عن عدسات الكاميرات ولكنه جدير بالملاحظة أيضاً. وبالفعل يقدم هذا الحدث الثاني التفسير الأفضل للسبب الذي حال دون منح فكرة تدويل القدس فرصة للتبلور في عام 1947 أو في أي وقت آخر منذ ذلك الحين.

عندما سقطت القدس كانت اتفاقية سايكس-بيكو السرية المبرمة في أيار/مايو 1916 لا تزال نافذة. وقد تم التوصل إلى ذلك الاتفاق لتقسيم الإمبراطورية العثمانية من قبل القوى المتحالفة الرئيسية: بريطانيا وفرنسا وروسيا. وبسبب ثورة تشرين الأول/أكتوبر قبل بضعة أسابيع من الاستيلاء على القدس انسحبت روسيا من الاتفاقية لكن بريطانيا وفرنسا ظلتا متمسكتين بها (إلى جانب إيطاليا التي انضمت لاحقاً إلى التحالف).

وبما أن بريطانيا وفرنسا أعربتا كليهما عن رغبتهما بالسيطرة على فلسطين وأرادتا منع وقوع أي تصادم قبل غزوها فقد قررتا تقاسمها. وبموجب الاتفاق المبرم تخضع القدس وبافا والمنطقة الممتدة بينهما لإدارة دولية. يتم تحديد شكلها من خلال التشاور بين الحلفاء وبالتالي كانت اتفاقية سايكس-بيكو أول خطة لتدويل القدس.

لكن مع تطور الحرب في فلسطين تولت القوات البريطانية الإمبريالية بصورة منفردة تقريباً جميع العمليات القتالية وتكبّدت الخسائر في الأرواح خلال المعركة مع الأتراك وعلى الأثر تراجع رئيس الوزراء البريطاني لويد جورج عن فكرة مشاركة هذا الغزو مع الفرنسيين. وفي نيسان/أبريل 1917 أبلغ السفير البريطاني في باريس أن "على الفرنسيين أن يقبلوا حمايتنا سنكون هناك من خلال احتلال المدينة وسنبقى فيها".

غير أن الفرنسيين كانوا عازمين تماماً على تأكيد حقوقهم بموجب اتفاقية سايكس-بيكو وهكذا عندما دخل موكب المنتصرين إلى القدس في 11 كانون الأول/ديسمبر لم يقتصر الأمر على ضم وحدة عسكرية فرنسية صغيرة فحسب بل شمل أيضاً الدبلوماسي الفرنسي الذي تولى التفاوض بشأن الاتفاقية فرانسوا جورج-بيكو.

وكانت الحكومة الفرنسية قد عيّنت بيكو للتو "مفوضاً سامياً للجمهورية الفرنسية في الأراضي المحتلة في فلسطين وسوريا". كما كان لديه تعليمات دقيقة من رئيس الوزراء الفرنسي تنص على التالي: "عليك تنظيم الأراضي المحتلة لضمان موطن قدم لفرنسا مساوٍ لإنكلترا". وفي تشرين الثاني/نوفمبر 1917 ذكّر بيكو المسؤول السياسي للجنرال النبي اللواء جيلبرت كلايتون بهذه الوقائع.

ونقل كلايتون عن بيكو قوله "[منذ أكثر] من عام اتفقت الحكومتان البريطانية والفرنسية على إخضاع أي جزء محتل من فلسطين لوصاية مشتركة إلى أن يتم التوصل إلى تسوية نهائية لشروط السلام". وأضاف كلايتون أن بيكو نفسه عمل انطلاقاً من "قناعة تامة بأنه سيكون الممثل الفرنسي في أي إدارة مشتركة مؤقتة إنكليزية-فرنسية كانت ستحكم أرض العدو المحتلة في فلسطين إلى حين انتهاء الحرب - عندما سيتم التوصل إلى ترتيب دولي ما".

ولهذا السبب انطلق بيكو إلى القدس مدعوماً بجيش النبي المنتصر غير أنه كان لهذا الأخير أوامره "الخاصة". فقد أبلغه رئيس الأركان روبرتسون قبل ذلك بأسبوعين بضرورة "عدم استساعة أي أفكار حول إدارة مشتركة". وكانت الطريقة الوحيدة للتحويل على الفرنسيين هي بإبقاء القدس وبقية البلاد تحت سلطة نظام عسكري طالما استمرت الحرب. ولما كان النبي القائد الأعلى للجيش فقد كان الحكم العسكري يعني حكم النبي الخاص الذي يمارسه من خلال أي حكام عسكريين قد يعينهم.

وهذا تماماً ما أعلنه النبي في تصريحه الشهير على أدراج "برج داود" حين خاطب الحشود قائلاً إن القدس قد احتلتها "قواتي" وأنا بالتالي أعلن من هنا والآن أنها خاضعة للقانون العرفي وستبقى تحت هذا الشكل من الإدارة طالما استدعت الاعتبارات العسكرية ذلك".

ولكن ما الذي عناه هذا وهل استُبعد الفرنسيون بعد انتهاء الحفل في القدس توجّه النبي وبيكو وغيرهما من المشاركين الرئيسيين لتناول الغداء في مقر عسكري خارج المدينة بالقرب من عين كارم. وقد حضر كذلك الرائد توماس إدوارد لورنس (أي "لورنس العرب") آتياً من العقبة بناء على أوامر النبي. وفي كتابه "أعمدة الحكمة السبعة" الذي تناول سيرته الذاتية وصف لورنس المشهد كالآتي:

"سادت فترة صمت قصيرة قطعها السيد بيكو الممثل السياسي الفرنسي الذي سمح له النبي بالسير إلى جانب كلايتون عند الدخول الذي قال بصوته الجهوري: 'وغداً عزيزي الجنرال سأأخذ الخطوات اللازمة لتشكيل حكومة مدنية في هذه المدينة'. وكانت تلك أكثر الكلمات شجاعةً أعقبها صمت كما عندما قُتحت الأختام السبعة في الجنة. وبقى الطعام من سلطة وشطائر الدجاج بالمليونير وكبد

الإوز عالقا في أفواهنا الرطبة في حين استدرنا نحو النبي منبهرين حتى هو بدا لوهلة مرتبكا وبدا نخشى ان يُظهر الطاغوت ضعفاً لكن لون وجهه تحوّل إلى الأحمر فابتلع طعامه وتحرك ذقنه إلى الأمام (بالطريقة التي نحبها) وهو يقول بتجهم: ' في المنطقة العسكرية السلطة الوحيدة هي سلطة القائد الأعلى وهو أنا'. فردّ بيكو متلعثماً: ' لكن السير غراي السير إدوارد غراي ... '. [غراي الذي أصبح يُلقب في ذلك الوقت "اللورد غراي" كان وزير الخارجية البريطاني في عام 1916 عندما تم إبرام اتفاق سايكس بيكو]. وسرعان ما قاطعه النبي مجيباً: ' السير إدوارد غراي أتى على ذكر الحكومة المدنية التي سيتمّ تشكيلها عندما أرى أن الوضع العسكري يسمح بذلك ' .

من المسلّم به على نطاق واسع أن موثوقية لورنس كشاهد على الأحداث في الصحراء غير مرضية ولكن هذه الحادثة حصلت في الجانب الذي يتواجد فيه النبي من الأردن وبحضور ضباط بريطانيين آخرين وعليه يمكن اعتبار روايته بغض النظر عن صياغتها المنقّحة جديرة بالثقة

وبالفعل من المحتمل أن يكون لورنس قد خُفّف من حدة الحدث في فيليب تشتوود قائد فيلق في فلسطين حضر أيضاً الغداء وفي رسالة وجهها إلى ضابط آخر عام 1939 كان موجوداً هناك وكان يكتب سيرة حياة النبي كتب تشتوود: "أتمنى حقاً أن تتمكن من تصوير ما قاله الرجل الفرنسي إلى النبي وما أجابه النبي حين قال الفرنسي إنه سيستلم زمام الإدارة المدنية للقدس في الحال غير أنه بالطبع لا يمكن ذكر ذلك في كتاب على الإطلاق".

ونظراً إلى أنه سبق أن برزت نسخة عن ذلك في كتاب لورنس "أعمدة الحكمة السبعة" قد يكون الجزء الذي "لا يمكن ذكره بتاتاً في كتاب" من إهانة النبي أقسى مما قيل (وقد كتب لويس ماسيغنون ضابط فرنسي مرتبط ببيكو أن "النبي هدد بيكو بصرامة بأنه سيتم القبض عليه إذا تدخّل").

غير أن ذلك لم يستنفد مساعي بيكو لكن القرار قد صدر ولا يمكن الرجوع عنه وبعد مرور عشرة أيام اشتكى بيكو من عدم إجاز أي تقدّم باتجاه تشكيل "إدارة مدنية إنكليزية- فرنسية" وأخبر محاور بريطاني أنه "لن يكون قد وافق أبداً على المجيء [إلى فلسطين] لو كان يعلم". وعلى الرغم من أن اللجنة الفرنسية بقيادة بيكو حاولت التشديد (مراراً) على فرض "وصاية دينية" على الأماكن المقدسة الكاثوليكية (غالباً كمعارضة للإيطاليين) لن تكون هناك "إدارة دولية" في القدس بل فقط سيطرة بريطانية حصرية

فضلاً عن ذلك في حين تدزّع النبي بالضرورة العسكرية سرعان ما أعّد البريطانيون فرضية تامة عن سبب كونهم فقط وحدهم المؤهلين لحكم القدس فقد كان البريطانيون محايدين تماماً وهذا ما أكدوه باختصار وكما صاغها لويد جورج: "كوننا لا نتمسك بأي عقيدة معينة [نحن] القوة الوحيدة المناسبة لحكم المسلمين واليهود والروم الكاثوليك وكافة الديانات".

وعليه بآء أول اتفاق لتحويل القدس بالفشل [والسؤال الذي يطرح نفسه هنا] لماذا يكتسي ذلك أهمية اليوم ولو تراجع النبي عن موقفه ولو تمّ تشكيل نوع من الإدارة المشتركة بعد الحرب العالمية الأولى ربما كان ذلك قد أسفر عن إقامة مؤسسات ذات حوكمة دولية ولكن ذلك قد اكتسب 30 سنة من الخبرة بحلول عام 1947 عندما أوصت الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين وتحويل القدس وبدلاً من ذلك خلال هذه العقود من الزمن فضّل البريطانيون أن يحكموا القدس بالطريقة نفسها التي اعتمدها العثمانيون قبلهم - أي بالقوة عموماً

وفي عام 1947 لم يكن للتحويل بالتالي أي سابقة ولا أساس بيروقراطي ولا آلية لتطبيقه وكما كان عليه الحال في عام 1916 لم يكن خياراً حقيقياً بل رمزاً للحيرة والتردد

وخلال القرن الذي أعقب دخول النبي إلى القدس لم تعرف المدينة يوماً واحداً من الإدارة الدولية وبالفعل لم تشهد مثل هذا اليوم في غضون ثلاثة آلاف عام إن الفكرة القائلة بأن الأمر يشكّل نوعاً من الحل المفترض لمستقبل القدس ليست سوى مثال آخر على التفاني المتحجر فالتحويل أصبح في غير محله خلال مائة غداء منذ قرن مضى وبقي كذلك منذ ذلك الحين

مارتن كيرمرهو "زميل كوريت الزائر" في معهد واشنطن

"موزايك"



BRIEF ANALYSIS

[Bennett's Bahrain Visit Further Invigorates Israel-Gulf Diplomacy](#)

//



Simon Henderson

[\(/policy-analysis/bennetts-bahrain-visit-further-invigorates-israel-gulf-diplomacy\)](#)



BRIEF ANALYSIS

[Libya's Renewed Legitimacy Crisis](#)

//



Ben Fishman

[\(/policy-analysis/libyas-renewed-legitimacy-crisis\)](#)



تحليل موجز

[مواجهة أزمة الغذاء في سوريا](#)

فبراير



عشتار الشامي

[\(ar/policy-analysis/mwajht-azmt-alghdha-fy-swrya/\)](#)

TOPICS

[\(ar/policy-analysis/mlyt-alslam/\)](#) عملية السلام

[\(ar/policy-analysis/allaqat-alrbyt-alarayylyt/\)](#) العلاقات العربية الإسرائيلية

المناطق والبلدان

[\(ar/policy-analysis/alflstynywn/\)](#) الفلسطينيون

[\(ar/policy-analysis/asrayyl/\)](#) إسرائيل